دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة
-١٤-

نهج البلاغة

للإمام علي كرّم الله وجهه

تأليف

عمر فروخ
دكتور في الفلسفة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الطبعة الثانية

بيروت

١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م

منشورات مكتبة منيمنه - بيروت - المعرض

الطبعة الاولى ١٣٦٣/١٩٤٤
الطبعة الثانية ٢/٢٠٠٠/١٢/٥٢



بيروت
ربيع الاول ١٣٧٢
كانون الاول ١٩٥٢

الكلمة الثانية

رأيت، في هذه الطبعة الثانية ، ان اضم شيئاً من خطب الامام علي تمثل جوانب حياته : في التفكير والسياسة والزهد ، وان اوسع خصائصه الادبية .

على ان هذه الدراسة ستظل في طبعتها الثانية موجزة لتكون في متناول الطالب الثانوي وفي نطاق المطالعة العامة .

١٠ صفر ١٣٧٢
٢٩ تشرين الاول ١٩٥٢

ع. ف

الكلمة الاولى

مقاييس العظمة

يختلف الناس فيما بينهم عند النظر الى العظماء ، ويتخذ كل واحد منهم مقياساً اقرب الى فهمه واروج عند قومه . ومع ان بعض المقاييس لا تمت احياناً الى العظمة بصلة ، فانك تجدها رائجة فاشية .

لقد كنت منذ زمن طويل احاول اخراج دراسة تتناول نهج البلاغة ، ذلك الكتاب الذي يأتي — من حيث البلاغة والفصاحة والبيان — في المرتبة الثالثة بعد القرآن والحديث. وقد كنت احاول ان ارى فيه شخصية الامام علي — ما امكن — وانظر منها الى عناصر عظمته .

ان عناصر العظمة في الامام علي — على ما رأيت — اربعة : انه امام عادل ، وحكيم عالم ، وخطيب بليغ ، وشجاع في الحق . ولقد حاولت ان ابرز هـذه العناصر في هذه الصفحات المعدودة جهدي ، وكأني بمعترض علي غـداً يقول : ولكنك لم تذكر ان الامام علياً خلع باب حصن خيبر !

انا اعلم انه فعل ذلك ، ولكنني لا ارى فيه عنصراً للعظمة ، ذلك لأن ما فعله هو وحده يمكن ان يفعله عشرة مجتمعون او مائة او الف . ولكنك لا تستطيع ان ترى اماماً عادلا وحكيما عالماً وخطيباً بليغاً وشجاعاً في الحق تكاد تجتمع في كثيرين غير الامام علي، انها تعيا على ان تجتمع الا في نفر قليلين من عظماء الرجال. ولعلك لو بحثت عنها في مائة الف رجل لم تجدها متفرقة فيهم . أفليس من المعجز اذن ان تكون مجتمعة في واحد ؟

١٨ ذي القعدة ١٣٦٣ و ٤ تشرين الثاني ١٩٤٤

ع.ف

الامام علي

موجز ترجمته وعناصر شخصيته
وما تركه من الاثر في نهج البلاغة

قبل الخلافة

ولد علي بن ابي طالب نحو عام ٢٣ قبل الهجرة (٦٠٠ م) وعمر الرسول يومذاك ثلاثون سنة. على ان الرسول كان قد تزوج قبل ذلك بخمس سنوات، تزوج خديجة بنت خويلد وغادر بيت عمه ابي طالب الذي كان قد كفله بعد موت جده عبد المطلب.

ان خروج الرسول من بيت ابي طالب لم يقطع الصلة بينهما، بل ظل ابوطالب يحمي محمداً ويعينه بكل سبيل. ولما صدع محمد بالدعوة (٦١٠ م) كان علي صبياً له من العمر احدى عشرة سنة في الاغلب. والاجماع بين رواة السيرة واقع على ان اول من استجاب لدعوة الرسول من الرجال صديقه ابو بكر عبدالله بن ابي قحافة، ومن النساء زوجه خديجة، ومن الصبيان ابن عمه علي. ولعل المرء يستغرب اذا علم ان منزلة علي في ايام الرسول كانت منزلة رفيعة جداً بين الصحابة على الرغم من انه لم يكن يوم وفاة الرسول يتجاوز الثلاثين سنة، بينما كان ابوبكر في الواحدة والستين وعمر بن الخطاب في الواحدة والخمسين وعثمان بن عفان في الستين. ولكن معاوية بن ابي سفيان كان يومذاك اصغر من علي باربع سنوات، كان ابن ست وعشرين سنة. الا انه لم يكن بعد قد عظم واشتهر.

ومع ان حياة علي ابن ابي طالب في ايام الرسول تملأ الصفحات الكثار فاننا سنجتزيء بما يلي:

علي بن ابي طالب ابن عم الرسول وزوج ابنته فاطمة، ولقد كان مكيناً لدى الرسول. ولما توفي ابوطالب وتوفيت خديجة اشتد الامر على المسلمين في مكة من ظلم قريش لهم فامر الرسول المسلمين بالهجرة من مكة الى المدينة، ولكنه امرهم ان يهاجروا سراً وان يهاجروا متفرقين لئلا يفطن المكيون لمقصدهم. ولما لم يبق احد

من المسلمين في مكة الا الرسول وبعض كبار الصحابة من اصحاب الكلمة في مكة. هاجر الرسول مع ابي بكر سراً وترك علياً في مكة ليرد ودائع المكيين كانت عند الرسول وليسهر على بعض آل كبار الصحابة الذين هاجروا .

ولما بدأ الجهاد في الاسلام ابلى علي بن ابي طالب فيه بلاء حسناً ، ولكن الرسول كان اذا سار الى الجهاد بنفسه ربما ترك علياً مكانه في المدينة . وكذلك كان علي مع غيره من الصحابة في كتبة الوحي الذين كان الرسول يملي عليهم ما يوحي به اليه من القرآن . اما الحديث عن بطولة علي بن ابي طالب وعن شجاعته وسعة علمه و كرم اخلاقه واستقامته فحديث يطول ، اكتفي من التفصيل فيه بالاشارة اليه .

توفي الرسول (١١ هـ ، ٦٣٢م) فاختلفت الاحزاب الاسلامية في من يجب ان يتولى الخلافة ، فقد ارادت كل اسرة وكل قبيلة ان يكون الخليفة منها لما في ذلك من القوة لها . وكانت تلك الاحزاب يومذاك ثلاثة :

(أ) الانصار من الاوس والخزرج سكان المدينة وحجتهم انه لولاهم لما انتشرت الدعوة في بلاد العرب ولقضي عليها في مكة ، وزعيم هؤلاء يومذاك سعد بن عبادة.

(ب) حزب المهاجرين اهل مكة وحجتهم انهم اول الناس اسلاما وان الرسول نفسه منهم .

(ج) وكان في القرشيين حزب منهم لا ينكر ان تكون الخلافة في المهاجرين ولكن يريدها من اسرة الرسول ، في بني هاشم . وبما ان الرسول لم يخلف اولاداً ذكوراً فقد اراد الهاشميون ان يكون الخليفة بعد الرسول ابن عمه علي بن ابي طالب .

في اثناء هذا الاختلاف – على ما نعرف من التاريخ – راى عمر بن الخطاب من الحزم ان يحسم هذا الاختلاف بمبايعة ابي بكر عبدالله بن ابي قحافة ، اكبر الصحابة البارزين او من اكبرهم سناً (١١هـ ، ٦٣٢ م) . ولقد كان عمل عمر بن الخطاب عملاً سياسياً عظيما . على ان ذلك اغضب بعض بني هاشم خاصة وانصار بني هاشم عامة .

الا ان عليا نفسه لم يكن اقل حكمة ولا اقل حرصاً على وحدة المسلمين . ويظهر من مراجعة التاريخ وتتبع حوادثه ان عليا كان يرى نفسه اهلاً للخلافة . واكثر ما في نهج البلاغة يدل على انه قد سيء لانه لم ينتخب خليفة بعد الرسول مباشرة . ويرى

الشيعة (انصار علي بن ابي طالب من الهاشميين ومن غيرهم ايضا) ان علياً قد منع حقاً كان له دون سواه، اذ بينما يرى المهاجرون والانصار (اهل مكة والمدينة) ان الخلافة منصب سياسي يزيد في قوة القبيلة التي يكون الخليفة منها ، يرى الشيعة ان الخلافة منصب ديني وان الرسول قد نص على ان تكون الامامة (الخلافة) في علي ثم في ابنائه على ما هو معروف من التاريخ .

ولكنّ علياً كرم الله وجهه لم يقاوم الخلفاء الراشدين قبله فقد كان ينفذ رغباتهم في الجهاد وكانوا هم يسألونه رأيه فينصحهم احسن النصيحة . ولقد خطر لعمر بن الخطاب وهو خليفة ان يذهب بنفسه على رأس جيش لحرب الفرس فنصحه علي بألاّ يفعل وقال له : لو مسّك سوء لما وجد المسلمون بعدك رجلا يرجعون اليه، ولكن ابعث لقتال الفرس رجلا مجرباً ، فان اظهره الله فذاك ما تحب ، وان كانت الاخرى (يعني قتلت) كنت رِدءاً للناس ومثابة للمسلمين .

ولما طعن ابو لؤلؤة الفارسي عمر بن الخطاب (٢٣هـ، ٦٤٤م) لم يعين عمر خليفة بعده ولا ترك المسلمين يختارون من يشاءون ، بل سمى ستة اشخاص من كبار الصحابة هم عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله وعلي بن ابي طالب وسعد ابن ابي وقّاص وعثمان بن عفان ، ثم جعل الامر شورى بينهم فيجتمعون ويختارون من بينهم خليفة . وكان قد سمي معهم ابنه عبدالله ولكنه اشترط الا ينتخب خليفة.

كان علي بن ابي طالب اصغر رجال الشورى سناً ، وكان اشخاص الشورى بعيدين عن ان ينتخبوا علياً خليفة لاسباب كثيرة، فاختاروا عثمان بن عفان الاموي وعمره يومذاك اثنتان وسبعون سنة . واذا كان علي من قبل قد رضي ان يتقدمه في الخلافة ابو بكر وعمر فالظاهر من التاريخ انه لم يقبل ان يتقدمه الآن عثمان بن عفان لان عثمان كان مرشح بني امية . ثم ان القضية لم تبق قضية عثمان وعلي بل قضية بني هاشم وبني امية : بني هاشم الذين نصروا الاسلام من اول يوم صدع فيه الرسول بالدعوة ، ثم حازبوا في سبيلها باموالهم وانفسهم ، وبني امية الذين لم يدخلوا الاسلام الا بعد ان فتح الرسول مكة (٨هـ ، ٦٣٠م) وبعد ان اضطروا الى ان يدخلوا في الاسلام !

وانتهز الامويون فرصة وجود عثمان في الخلافة اثنتي عشره سنة فكانوا يسيرون امور الامبراطورية سياسيا على ما يهوون. ولما عوتب عثمان في ذلك قال: وما ينقم الناس مني أن اولي اهلي وذوي رحمي ؟ ولا حاجة بنا الى القول ان عليا لم يقف من عثمان موقفه من ابي بكر وعمر .

واخيراً عمت الفوضى حكم عثمان ونقمت عليه الاقطار الاسلامية لاسباب حقيقية واسباب غير حقيقية، فجاءت وفود تلك الاقطار الى المدينة وحاصرت عثمان في بيته ثم قتلته (١٨ ذي الحجة عام ٣٥) في حادث مؤسف ، بعد ان ارسل بعض الصحابة اولادهم للدفاع عنه وارسل علي ابنيه الحسن والحسين. ومن ذلك الحين ذرت العداوة قرنها بين بني امية وبين بني هاشم .

ولم يكن في المسلمين يومذاك احد أليق بالخلافة من علي فاختارته وفود الاقطار وبايعه المسلمون بعد ان حاول — على ما نعرف من التاريخ — ان يبقى في معزل عن شؤون الخلافة . ولكن لما قبـــل ان يكون خليفة عزم على ان يقوم بحقوق الخلافة حق قيام .

بعد مبايعته بالخلافة

بدا للامام علي بعد مبايعته بالخلافة ان يسير بالحزم ورأى ان يعزل بعض الولاة الذين لم يكن راضيا عنهم ، ومنهم معاوية . الا ان معاوية ، الذي كان قد اصبح واليا على الشام (سورية) منذ ايام عمر بن الخطاب، كان قد عمل على تثبيت سلطته وبسط نفوذه على الشام ، ولذلك لم يقبل بان يعتزل عمله ، بل طلب من الامام علي — بعد ان اصبح علي خليفة المسلمين — ان يقتص من الذين قتلوا عثمان .

وكان معاوية يود ان يخلق للامام علي — بهذا الطلب — مشاكل ، لا ان يطالب بدم عثمان . ذلك لان الذين اشتركوا في مقتل الخليفة الاموي كانوا كثاراً ولانهم كانوا — في مجموعهم — فوق ذلك اصحاب قوة ونفوذ ، فلم يكن من الحكمة السياسية ان يقتص الامام علي منهم. وكان معاوية يعرف ذلك كله . واعتذر الامام علي لذلك بقوله (ص٣٤٧) : « يا اخوتاه ، لست اجهل ما تعلمون، ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم ... فهل ترون

موضعا لقدرة على شيء تريدونه ؟ فاصبروا حتى يهدأ الناس ...»

واخيراً عزم معاوية على محاربة علي ، ولكنه اراد ان يضعفه قبل ذاك ، على ما نعرف في تاريخ الحرب والسياسة ، فقد استطاع ان يثير بينه وبين طلحة والزبير وعائشة ام المؤمنين وزوج رسول الله حرب الجمل . وقال : ان ظفرت عائشة واصحابها بعلي فقد كفيت منافسته . وان ظفر علي بها وباصحابها فانه سيظفر بهم بعد ان يخسر كثيراً من قوته وجنده . وهكذا كان ، فان المعركة انجلت يوم الخميس في العاشر من جمادي الآخرة عام ٣٦ (كانون الاول ٦٥٦) عن عشرة آلاف قتيل من الفريقين او يزيدون .

ولم يمهل معاوية الامام علياً طويلا بعد معركة الجمل فبدأ يخلق المشاكل له في مصر ثم استولى عليها ، وكذلك استبد بالشام . ولم يخف على الامام علي ان الحرب واقعة بينه وبين معاوية لا محالة . ولكنه تعجل تلك الحرب ونقل عاصمته من المدينة المنورة – مدينة الرسول – في الحجاز الى الكوفة في العراق ليكون اقرب الى الشام اذا نشبت الحرب .

واخيراً التقى جيش معاوية بجيش الامام علي في صفين قرب الكوفة (في ذي الحجة ٣٦ ، حزيران ٦٥٧) . وتذكر اكثر المصادر ان جيش معاوية كاد ينهزم فاشار عمرو بن العاص – وزير معاوية واحد دهاة العرب – على معاوية ان يرفع المصاحف على الرماح (كما فعلت عائشة من قبل في معركة الجمل) ويدعو الى تحكيم كتاب الله في ما شجر بين المسلمين من الخلاف .

ادرك الامام علي ان تلك خدعة ، ولكن جنده الذين كانوا قد سئموا الحرب بعد قتال دام ثلاثة اشهر ، اضطروه الى ان يقبل بوقف القتال وبالتحكيم . فوقف القتال . واراد كل فريق ان يختار حكماً ، فاختار معاوية عمرو بن العاص . واراد الامام علي ان يختار عبد الله بن عباس لأنه كفوء لعمرو بن العاص ، ولكن اصحابه ابوا ذلك لانهم كانوا يريدون رجلا ألين منه ليشتري لهم السلم بكل ثمن ممكن . ولذلك وقع اختيارهم على عبد الله بن قيس المعروف بابي موسى الاشعري ، وهو رجل طيب القلب ، ولكن ابن الطقطقي (١) يصفه بانه « كان شيخاً مغفلا » .

وفي ١٣ صفر سنة ٣٧ اتفق ابو موسى وعمرو بن العاص على ان يحكما القرآن في

---

(١) الفخري ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ص ٦٧

الخلاف الناشب بين المسلمين وكتبا بذلك «صحيفة» . وبعد ستة اشهر (رمضان ٣٧ وشباط ٦٥٨) اجتمعـــا في اذرح في شرقي الشام (سورية) ونظرا في امر الخلاف واتفقا فيما بينهما على ان يخلعا علياً ومعاوية من الخلافة ويتركا الامر شورى بين المسلمين يولون عليهم من يشاؤون . فقال حينئذ ابو موسى لعمرو بن العاص : تقدم فقل ذلك للناس . فقال له عمرو : بل تقدم انت . فصعد ابو موسى المنبر وقال : «لقد بحثنا فلم نجد اجدر لِلمّ شعث هذه الامة من ان نخلع عليا ومعاوية ونجعل الامر شورى بين المسلمين . واني قد خلعتهما فاستقبلوا امركم وولوا من شئتم» .

عند هذا صعد عمرو المنبر وقال : «ان أبا موسى قد خلع صاحبه ، وانا اخلع من خلع واثبت صاحبي – معاوية – فانه ولي ابن عفان والمطالب بدمه واحق الناس بمقامه» . فانكر ابو موسى على عمرو ذلك وعدّه خدعة ، وانصرف اتباع الامام علي ناقمين على ابي موسى ، وانصرف اهل الشام فرحين . وكان اول ما فعل معاوية بعد ذلك انه اعلن نفسه خليفة . وهكذا انقسم العالم الاسلامي بين خليفتين : الامام علي في الشرق ، في جزيرة العرب والعراق وفارس ، ومعاوية في الغرب ، الشام (سورية) ومصر .

كان جميع اهل الحجاز واهل العراق وفارس يعتقدون ان الحق بجانب الامام علي وان معاوية اخذ الامر خدعة ولكنهم كانوا – فيما يتعلق بالسياسة التي يجب ان ينهجها الامام علي تجاه معاوية – حزبين كبيرين

أ) حزب سئم الحرب واكتفى بما أصيب به من القتل والبلاء فانطوى على كره لمعاوية واهل الشام ، ومضى يجادل عن حقه من الناحية الدينية والشرعية . هؤلاء هم سكان المدن في الاغلب والذين اصبحوا فيما بعد «الشيعة» .

ب) حزب لم يشأ ان ينام على ضيم ولم ير في خدعة عمرو لابي موسى مبرراً لان يقبل الامام علي بما حدث ، فخاطب الامام علياً بكثير من الجرأة والتصلب وقال له : اما ان يكون معاوية احق منك بالخلافة فاخلع نفسك منها واترك له الامر كله ، واما ان تكون انت صاحب الحق وهو المغتصب الظالم فسر بنا اليه نقاتله لنعيد الحق الى نصابه . هؤلاء هم سكان البادية في الاغلب ، وهم الذين «خرجوا»

فيما بعد من جيش الامام علي فسماهم أعداؤهم « الخوارج » .

ولما لم يستطع الامام علي ان يأخذ برأي الخوارج ، لان الشيعة يومذاك لم يكونوا يرون القتال « بعد ان قتل في صفين من كل بيت في الكوفة قتيل او اثنان او أكثر » ، عده الخوارج « كافراً » وجعلوه هو ومعاوية – فيما يتعلق بالخلافة – في منزلة واحدة ، ثم اخذوا يحاربونه .

مقتله

اجتمع (١) نفر من الخوارج بعد موسم الحج فتذاكروا امر المسلمين فعابوهم وعابو اعمالهم . ثم ذكروا اخوانهم من الخوارج الذين سقطوا قتلى في معركة النهروان بالبصرة في حرب الامام علي فترحموا عليهم وقالوا : لو شرينا (بعنا) انفسنا في سبيل الله فقتلنا أئمة الضلال وارحنا منهم البلاد والعباد وأخذنا بثأر اخواننا! ثم تعاقدوا على ذلك .

فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي انا أكفيكم عليا . وقال البرك بن عبد الله التميمي : انا اكفيكم معاوية . وقال عمرو بن بكر التميمي : انا اكفيكم عمرو بن العاص. ثم انهم تواثقوا على الوفاء بذلك ،وعلى ان يقوموا بعملهم هذا في ليلة واحدة : في ١٧ رمضان (سنة ٤٠ هـ) .

ثم جاء عبد الرحمن بن ملجم الى الكوفة واتصل بنفر من الخوارج واتفقوا على ان يكمنوا في الليلة المعينة في المسجد الجامع فاذا خرج الامام علي الى صلاة الصبح ثاروا به فقتلوه . وقد نفذ هؤلاء مؤامرتهم هذه، فقتل الامام علي كرم الله وجهه (٢٤ كانون الثاني ٦٦١) . ولكن الاضطراب الذي اراد الخوارج ان يسكن بقتل الامام علي لم يسكن .

(١) مقاتل الطالبيين للاصفهاني (المطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٥٣ هـ) ص ١٧ – ٢٠

نهج البلاغة

وخصائصه الفنية

« نهج البلاغة » هو مجموع ما وصل الينا من الخطب والرسائل والاقوال المأثورة التي تروى للامام علي كرم الله وجهه . هذه الخطب والرسائل والاقوال المأثورة جمعها الشريف الرضي المتوفي سنة ٤٠٤ للهجرة (١٠١٣ م) بعد التقصي والتحري .

وقبل التقدم الى اثبات الخصائص الفنية على ما تبدو في « نهج البلاغة » يجب ان ننظر في مجموع تلك الخطب والرسائل من حيث الرواية التاريخية . اننا اذا فعلنا ذلك ظهر لنا ثلاثة اوجه :

أ) ان الشريف الرضي لم يستطع اثبات جميع رسائل الامام علي وخطبه ، لان بعضها كان قد ضاع بتطاول الزمن عليه قبل عصره . حتى ان كثيراً من الخطب التي وصل اليها الشريف الرضي لم يصل اليها كاملة . ولذلك تجد اكثر الخطب المثبتة في نهج البلاغة مسبوقة بقول الشريف الرضي نفسه : « ومن خطبة له عليه السلام » ، مما يدل على ان هذه الخطب « لم تصل الينا كاملة » .

ب) هنالك مقاطع طويلة او قصيرة في خطب نهج البلاغة تروى على وجهين مختلفين يتفقان في المعنى ولكن يختلفان في اللفظ ، مما يدل على ان شيئا من الفاظ تلك الخطب قد نسي على الزمن واضطربت الذاكرة في روايته .

ج) هل هنالك في نهج البلاغة شيء ليس للامام علي ؟

تجد في ناحية صغيرة من نهج البلاغة موقفين مختلفين : موقفا يتجلى فيه النبل وكرم الخلق ، وموقفا فيه عصبية شديدة . فبينما ترى في نهج البلاغة (١) هذه الخطبة (وقد سمع قوما من اصحابه يسبون اهل الشام) :

« اني اكره لكم ان تكونوا سبابين ، ولكنكم لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول وابلغ في العذر ، وقلتم مكان سبكم اياهم : اللهم احقن دماءنا

---

(١) بيروت ، طبعة محيي الدين الخياط . ص ٤٦٠ . (٢) النابغة هي المرأة تتزين للرجال

ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهجَ به »

ترى فيه امثال هذه الاقوال : اعترض الأشعث بن قيس الامـــام عليا ذات يوم في كلمة له والامام علي على المنبر في الكوفة فقال له الامام علي (ص٥٦ ٥٧) :

« ما يدريك ما عليّ مما لي ؟ عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين . حائك ابن حائك ، منافق ابن كافر . والله لقد أسرك الكفر مرة والاسلام اخرى ... »

وذكر الامام علي يوما عمرو بن العاص فقال (١٥٢) :

« عجبا لابن النابغة(٢) يزعم لاهل الشام ان فيّ دُعابة ... »

وقال لرجل يوما (ص٢٧٥) : يا ابن اللعين الابتر ، والشجرة التي لا اصل لها ولا فرع ... »

اننا اذا رجعنا البصر في امثال هذه الشتائم وجب ان نرفع عنها قدر الامام علي وان ننزه لسانه الكريم عن ان ينطق بها . وكيف يجوز لنا ان نسمع قوله : واني اكره لكم ان تكونوا سبابين ... » ثم نرضى ان يروي له سب ولعن والفاظ نابية؟ على ان الفصل في ذلك ليس لي ، وان كنت انا شخصيا ارفع عن ذلك قدر الامام علي . ولكن الفصل في صحة نسبة هذه الاقوال انما هو للسادة الاعلام علماء الشيعة والمجتهدين منهم .

...

ونأتي الآن الى الخصائص الفنية الظاهرة في نهج البلاغة .

١) يأتي « نهج البلاغة » من حيث البلاغة في المرتبة الثالثة بعد القرآن الكريم فالحديث الشريف . وان الفاظه وتراكيبه وما فيه من اوجه البلاغة وراء كل نقد وفوق كل استدراك . انه نموذج للاسلوب المتين ، وللصناعة المعنوية المتخيَّرة .

٢) يشمل نهج البلاغة ثلاثة مظاهر : الخطب والمواعظ ، ثم الوصايا ، ثم الرسائل . وهنالك حكم مفردة مجموعة في آخر نهج البلاغة ، ولكنها في الحقيقة حكم مستخرجة من الخطب والوصايا والمواعظ والرسائل .

٣) نهج البلاغة مسوق في اسلوب خطابي ، ولا غرو فالامام علي من مشاهير

الخطباء ، وفيه احياناً شيء من الجدل ومن التحليل .

٤) جمل نهج البلاغة قوية متينة ولكنها قصيرة في اكثر الاحيان . وكذلك السجع فيها غير متكلف ولا هو شديد البروز . على ان السجع في الخطب الطويلة المتعلقة بتنزيه الله ووصف خلق العالم اكثر منه في الخطب القصيرة وفي الرسائل السياسية . الا ان الموازنة كثيرة ، وخصوصاً في خطب الزهد والخطب الدينية عامة . واما الصناعة المعنوية من تشابيه واستعارات فكثيرة بليغة . واما الصناعة اللفظية، فالجناس منها يكاد يكون مفقوداً ولكن الطباق كثير .

٥) ليس لنهج البلاغة غاية معينة ، بل هو مجموع من الآراء استمدها الامام علي من حوادث معينة مرت به واحوال مختلفة شهدها .

٦) واتجاه الامام علي في نهج البلاغة اتجاه ديني ،فالكلام على الرسل والملائكة والجهاد والنساء لا يخرج عما اقره الدين ودعا اليه . واكثر ما في نهج البلاغة حث على الجهاد وتخويف من الدنيا وحث للانسان على ان يتجنب البحث عما يجهل .

٧) وفي نهج البلاغة كلام على الملاحم ، وهي الاخبار بالغيب وبما سيحدث في المستقبل .

٨) وفي نهج البلاغة آراء حكيمة صائبة متفرقة في الخطب خاصة ، ولكن ليس لها نظام فيستخرج منها وحدة شاملة .

٩) ونرى من نهج البلاغة ان الامام علياً لا يصرح بما يعرف لان عقول الناس لا تحتمله : «اندمجت على مكنون علم لو بُحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة»[١] . وله القول المعروف : «لو علموا ما هنا (واشار الى صدره) قطعوا ما هنا (واشار الى عنقه) » .

شعره

ينسب للامام علي ديوان شعر يطبع عادة طبعات رخيصة ويضم نحو الف وثلاثمائة بيت في الحماسة و الزهد والنصائح وبعض الرثاء . والديوان متفاوت في

(١ اضطراب الحبال في البئر عميقة (ص٤٢)

الجودة ، فما كان منه لطرفة وابي العتاهية مثلا فهو جيد ، وما كان من عمل القصاص فهو رديء .

ولا ريب عندنا قط ان الامام علي كان خطيبا بليغا ، ولقد يكون قد جرى على لسانه شيء من الشعر الذي يتفق الى حد ما مع خطبه . ولكن القصائد والمقطعات التي تنسب في هذا الديوان له — ما لم تكن معروفة لبعض فحول الشعر — ليست من هذا الباب .

ومما اشتهرت نسبته الى الامام علي من الشعر :

النَّاسُ من جهةِ التمثيلِ أكفاءُ ... ابوهم آدمٌ والأمُّ حوّاءُ .
فإن يكن لهمُ في أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماءُ .
ما الفضلُ إلا لاهلِ العلمِ إنّهمُ ... على الهدى لمن استهدى[1] أدلاءُ .
وقيمةُ المرءِ ما قد كان يُحسِنُهُ ... والجاهلون لاهل العلم أعداءُ .
وإن أتيتَ بجودٍ من ذوي نَسَبٍ ... فان نِسبتَنا جودٌ وعلياءُ .
فقُمْ بعلمٍ ولا تطلُبْ به بدلاً ... فالنّاسُ موتى وأهل العلمِ أحياءُ .

ثم انه ليس من المستغرب ان يكون للامام علي مثل هذا الانتماء (٢) .

أنا عليٌّ وابنُ عبدِ المطَّلبْ ... أحمي ذِماري وأذُبُّ عن حَسَبْ
الموتُ خيرٌ للفتى من الهربْ

وعلى كل فان شهرة الامام علي الادبية ليس قائمة على شعره بل على خطبه .

---

١ — استهدى : طلب الهدى

٢ — انتمى الفارس : برز من الصفوف في المعركة وجعل يفتخر بنفسه ويدعو خصومه الى المبارزة

٣. اغراض نهج البلاغة

بين موت الرسول وبين مقتل علي بن ابي طالب في ١٧ رمضان سنة ٤٠ للهجرة (٢٥ كانون الثاني عام ٦٦١) ثلاثون سنة كان الامام علي في اثنائها كلها – وربما من قبلها ايضاً – خطيباً مفوّهاً وبليغاً مشهوراً . ولقد نشأ نهج البلاغة في هذه السنين الثلاثين على الاقل فضم كل ما عرض للامام علي وفي حياة الامام علي من حوادث واحوال . فهو من اجل ذلك متعدد وجوه الاغراض ، على اننا سنتناول هنا من هذه الاغراض ما هو امسّ بموضوعنا واقرب اتساقاً في تاريخ الفكر الاسلامي .

ولا – ما بعد الطبيعة

يتناول نهج البلاغة في بعض خطبه . . وخصوصاً الطوال منها – الكلام على موضوعات ترجع في تاريخ الفلسفة الى ما بعد الطبيعة والى ما عرف بموضوع الالهيات خاصة .

ونهج البلاغة اسلامي الاتجاه في ذلك كله ولكن الغالب عليه « التنزية » الذي يتمسك به المعتزلة لا « التشبيه » الذي يأخذ به اصحاب الحديث والاشعرية خاصة . ومن المعقول ان تكون جميع آراء نهج البلاغة في ذلك تتفق مع ما جاء في القرآن الكريم . ويجدر بالذكر ان نعلم ان نهج البلاغة صريح في التنزيه الى درجة بعيدة سنترك الامثلة عليها الى مواضعها الخاصة .

(أ) الله

يغلب على نهج البلاغة تسمية الله تعالى بما ورد من اسمائه الحسنى في القرآن الكريم ، ووصفه بما اتصف به في القرآن ايضاً بما هو سبيل الدين (ص٢٨٣و١٥٥):

« الحمدُ لله المعروف من غير رُؤْية، الخالق من غيرِ مَنْصَبَةٍ (تعب) خَلَقَ الخلائقَ بقُدْرته ، وَاستعبدَ الأرْبابَ بعزّته ، وسادَ العظماء بجُوده . وهو الذي أسكَنَ الدنيا خلْقَهُ ، وبَعَثَ إلى الجنّ والإنسِ رُسُلَه ...

قد عَلِمَ السرائر ، وخَبَرَ الضمائر . له الاحاطةُ بكلِّ شيء والغَلَبَةُ لكلِّ شيء والقوةُ على كل شيء ... لم يَخلُقكُمْ عَبثاً ، ولم يَترُكْكُمْ سُدَى ، ولم يَدَعكُمْ في جهالةٍ ولا عمىً : قد سَمَّى آثارَكم ، وعَلِمَ أعمالَكُمْ ، وكتَبَ آجالَكم ، وأنزلَ عليكمُ الكتابَ تبياناً لكل شيء ... »

وفي نهج البلاغة خطب طوال في تنزيه الله عن ان يُشبه احداً من خلقه او ان يوصف بالحركة او السكون او بشيء مما يخطر في بال البشر . ومما يدعو الى التأمل ان نهج البلاغة يصم من يجري على الله تعالى هذه الصفات بانه جاهل او كافر . وهو يرى صراحة ان الانسان لا يمكن ان يعرف الله بصفاته بل يستطيع ان يعرفه من آثار عظمته في خلقه (ص ١٠٠) :

« لم يُطلِعِ العُقولَ على تحديد صِفَتِهِ ، ولم يَحجُبْها عن واجبِ مَعرفتِهِ ، فهوَ الذي تَشهدُ له أعلامُ الوُجود ... تعالى اللهُ عما يقولُ المُشَبِّهونَ به والجاحدون له عُلواً كبيراً » .

على ان الخطبة الاولى في نهج البلاغة تضم اكثر الآراء التي يصح الاستشهاد بها هنا ، وهي الخطبة الحادية عشرة في هذه الدراسة .

ويجدر بنا ان نعلم ان نهج البلاغة يهاجم الاشعرية واهل الحديث خاصة من المشبهة الذين يزعمون ان الله تعالى يجلس على عرش جلوساً معروفاً من دلالة اللغة ، ولا يقبلون ان يتأوّلوا الجلوس على العرش بمعنى « القدرة والسلطان » كما يرى المعتزلة .

ثم يتعرض نهج البلاغة لصفات الله ويجعلها مخالفة لصفات البشر خلافاً جوهرياً . فالله قوي مثلاً لا بمعنى انه اقوى من الانسان فقط ، بل لأن قوة الانسان اذا قيست بقوة الله لم يجز ان تسمى قوة على الاطلاق (ص ١١٤) :

« الحمدُ للهِ الذي لم يَسبِقْ لهُ حالٌ حالاً ، فيكونَ أولاً قبلَ أن

يكونَ آخراً ، ويكونَ ظاهراً قَبلَ أنْ يكونَ باطناً .. كُلُّ مُسَمَّىً بالوَحدَةِ غَيرَهُ قليلٌ ، وكلُّ عزيزٍ غَيرِه ذليلٌ ، كلُّ مالكٍ غَيرَهُ مملوكٌ وكلُّ عالمٍ غيرهُ متَعَلِّمٌ ، وكلُّ قادرٍ غيرهُ يَقدرُ ويَعجزُ . وكلُّ سميعٍ غيرهُ يصمّ عن لطيفِ الأصواتِ ويُصمّهُ كبيرُها ، ويذهب عنه ما بَعُدَ منها ... وكل ظاهرٍ غيرهُ باطنٌ ، وكلُّ باطنٍ غيرهُ ظاهرٌ ...

(ب) الملائكة

ورأيُ نهج البلاغة في الملائكة هو رأي القرآن فيها (ص ٢٢٤) :

« ... من ملائكةٍ اسكنتَهم سمواتِك ، ورفعتَهم عن ارضك . هم أعلمُ خلقك بك ، وأخوفهم لك ، وأقربهم منك . لم يسكنوا الاصلاب [١] ، ولم يُضمَّنوا الارحام ، ولم يُخلقوا من ماءٍ مَهين [٢] ، ولم يشعبهم ريب المنون [٣] ...

« وانهم على مكانهم منك ، ومنزلتهم عندك ... وطاعتهم لك ، وقلة غفلتهم عن امرك ، لو عاينوا كُنه ما خفِيَ عليهم منك لحقروا اعمالهم .. ولعرفوا انهم لم يعبدوك حق عبادتك ، ولم يطيعوك حق طاعتك ... »

(ج) الرسل

ويرى نهج البلاغة في الرسل والانبياء رأي الدين من ان الله ارسلهم ليهدوا البشر ، وانه استخرجهم من خير البشر في المولد والمنصب والخلق والخُلق (ص ١٩٤) :

« أستودعهمْ في افضل مستودَعٍ ، وأقرّهم في خَيرِ مُستقَرٍ : تناسختهم

١ — لم يولدوا من آباء . ٢ — راجع القرآن الكريم ٣٢ (السجدة) : ٨ ، و ٧٧ (المرسلات) : ٢٠ و ٨٦ (الطارق) : ٥ - ٧ . (٣) لم يموتوا

كرائمِ الأصلاب إلى مُطهَّراتِ الأرحام . كلما مضى سلفٌ قام منهم بدين الله خلفٌ حتى أفضت كرامةُ الله سبحانه إلى محمدٍ صلى الله عليه وسلم فأخرجه من افضل المعادنِ مَنبِتاً وأعزّ الأرومات مَغرِساً ، من الشجرةِ التي صدعَ منها أنبياءَه وانتخبَ منها أمناءَه . أسرتُه خيرُ الأسرِ ، وشجرتُه خيرُ الشجرِ ، وعِترتُه (١) خيرُ العترِ . نبتت في حرمٍ ، وبسقت في كرمٍ . لها فروعٌ طِوالٌ وثمرةٌ لا تُنالُ . فهو إمامُ من اتّقى ... سُنّتُه الرُّشدُ وحكمُه العدلُ . على حينِ فترةٍ من الرُّسلِ ... وغباوةٍ من الأممِ » .

وعمل الرسالة في نهج البلاغة لا ينقطع بموت الرسول ، ولكنه يستمر على يد رسول مثله او على يد غيره . قال ص ٢٦ و ٢٨ :

« ولم يخلِ سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب مُنزَل او حُجة لازمة او محجّة قائمة... ثم قُبض (محمد) صلى الله عليه وآله ، وخلّف فيكم ما خلفه الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح او علم قائم ، كتابَ الله فيكم مبيّناً حلاله وحرامه ... »

اما فضل آل البيت فظاهر في اماكن مختلفة .

د - الملاحم

« الملاحم » هنا هي « الاخبار عما سيكون » ، انها تطلع الى الغيب . وفي نهج البلاغة من ذلك شيء ليس بقليل ، وخصوصاً فيما يتعلق بالحروب وبالاحداث السياسية . وقد قيل للامام علي مرة : « اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب » . فضحك وقال للقائل

---

١ — اهل بيته .

(٢٦٥) : « ليس هو بعلم غيب ولكنه تعلم من ذي علم . وانما علم الغيب علم الساعة [١] ... (وغير ذلك) فهذا... الذي لا يعلمه احد الا الله . وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري وتنضم عليه جوانحي » . اما بعض ما ذكره الامام علي وهو من باب الملاحم فتجده في اماكن مختلفة (ص٤٥، ٢٧٩ الخ).

واما صفة الجنة والنار والقضاء والقدر فترد كلها في نهج البلاغة على ما قبله الاسلام وجاء في القرآن .

ثانياً — الطبيعة

ان الكلام الوارد في نهج البلاغة عن الطبيعة غير قليل، ولكنه متفرق هنا وهناك وهو ينقسم قسمين ظاهرين : القسم الاول قائم على « الفهم الديني » للوجود ، وهو القسم الغالب في النهج، ويتناول خلق آدم وخلق العالم وصفة السماء والعبرة بالحيوان والنبات. ثم هنالك القسم الثاني وهو اشارات طبيعية مادية ترجع الى آراء كانت معروفة منذ القديم. اما الرأي الاول فهو متمثل في الكلام على خلق آدم: مثلا (ص ٢٣)،

« ثم جمع سُبحانهُ من حَزْنِ [٢] الارض وسَهلها ، وعَذْبها وسَبَخها [٣] تُربةً سَنّها بالماء حتى خلَصت ، ولاطها بالبِلّةِ حتى لزبت [٤] فجبل منها صورة ذات أحناء ووُصول ، وأعضاء وأصول . أمسكها حتى استمسكت وأصلدها حتى صلصلت ، لوقتٍ معدودٍ وأمدٍ معلومٍ . ثم نفخ فيها من رُوحه فمثَلَت إنساناً ذا أذهان يُجيلها وفِكَر يتصرّفُ بها ... »

واما الاشارات الطبيعية فاحب ان اذكر منها شيئاً يتعلق بصورة العالم . من ذلك (٤٦٦ — ٤٦٨) :

---

١ — يوم القيامة ٢ — الارض الغليظة ٣ — مالحها ٤ — سنها : مزجها بالماء . لاطها : مزجها وعجنها .

وكان مِنَ اقتدار (الله) ... أنْ جعلَ من ماء البحر المُتَراكِم المتقاصِف يَبَساً جامِداً ... وأرْسى أرضاً يحملها الاخضرُ المُثْعَنْجِرُ (البحر العظيم) ... فسُبحانَ من أمْسَكَها بعد مَوْجان مياهها وأجْمدها بعد رُطوبَةِ أكنافِها ... »

هذا يذكرنا ببعض ما جاء في الفلسفة الايونية (اليونانية القديمة) وهي آراء الفلاسفة الطبيعيين [1] فقد ذكر اولهم ثاليس الملطي ان العناصر ينقلب بعضها الى بعض، وذكر ان الماء يتحول الى تراب والتراب الى ماء . وكذلك جعل ثاليس «الارض» سطحاً سابحاً على الماء .

ثم يعود نهج البلاغة الى تفصيل رسو الارض على الماء (ص ١٨١–١٨٢). ويجب ان نذكر ان ثاليس ونهج البلاغة يتخيلان الارض عائمة على الماء كما يعوم المركب في البحر . اما الوصف الصحيح فهو ان الماء موزع على سطح الارض نفسها .

ثالثاً – الاجتماع

وقيمة نهج البلاغة انما هي في الناحية الاجتماعية فهو يصور عصره في الدرجة الاولى ثم يبدي في السياسة والحرب آراء صائبة . واذا نحن علمنا ان الامام علياً قد ضرب من العلم بسهم وافر لم نستكثر تلك الآراء الصائبة عليه بل لعلها اقل مما يجب ان يصلنا عنه .

(آ) صورة العصر

يشكو الامام علي من اتباعه، ومن اهل الكوفة منهم خاصة، بانهم كثيرو الدعوى فاذا جـد الجد فشلوا وعجزوا عن كل شيء : انهم يشجعونه على خوض الحرب ويعدونه بانهم سينصرونه، فاذا نشبت الحرب جلسوا في بيوتهم، وقعدوا عن نصرته . وانك لتعجب اذا علمت ان الامام علياً كان يرى ان اتباع معاوية خير من اتباعه ولذلك كان يتمنى ان يكون له بكل عشرة من اهل الكوفة رجل واحد من اهل الشام . اما الجهل والخداع والجبن وترك الدين والتكالب على الدنيا فشيء موجود في كل زمان ومكان ، ولم يكن عصر الامام علي شاذاً في ذلك . وكثيراً

١– راجع الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب .

ما كان يعجب الامام علي كيف ان اتباع معاوية يجتمعون على الباطل وان اتباعه هو يتفرقون عن الحق . ان هذه الخطب تنكشف بلا ريب عن الفوضى التي كانت سائدة في الحجاز وفي العراق وعن اختلاف الآراء هنالك بينما هي تدل على سيادة النظام في الشام (سورية) والتفاف اهلها حول معاوية . ولقد كان لذلك تحليل واحد ذكره جميع المؤرخين وقبله جميع الدارسين : كان الامام علي تقياً يخشى الله في الناس ويعتقد ان الخلافة امانة تجب المحافظة عليها ، ولقد كان احتفاله بالآخرة وبرضى الله دون الدنيا ودون رضى الناس . اما معاوية فكان دنيوياً في سياسته يأخذ بالدهاء ويلجأ الى الحيلة والمكر ولا يقيم في الدولة وزناً الا لخيره وخير أسرته. لقد كان علي « إماماً تقياً » وكان معاوية « ملكا داهية ».

(ب) السياسة والحرب

كان الامام علي بطلا شجاعاً بما لا يحتاج الى بسطة في القول ، ولقد كان نجاحه في الحروب الاولى ايام الرسول خاصة عظيما . اما الآن – في ايام خلافته – فقد بقيت له شجاعته وبطولته ولكن فارقه نجاحه لما رأيت في الكلام على صورة عصره. وهنالك خطبة تدل على كل ما ذكرنا هنا دلالة واضحة ، وهي الخطبة الاولى من المختارات التي اثبتناها في هذه الدراسة .

في هذه الخطبة يرى الامام علي ما يلي من الآراء الصائبة :

(أ) الاستعداد للحرب يجعل الامة مَهيبة يخافهـا اعداؤها ، بينما قعودها عن الجهاد يجرّىء اعداءها عليها .

(ب) كل امة تغزى في ديارها تغلب على امرها وتخرب بلادها (لا ريب في ان وصول العدو الى ارض امة دليل على ضعف تلك الامة) .

(ج) ان نجاح القائد في الحروب يعتمد الى حد بعيد علي طاعـــة جنده له وتقيدهم باوامره .

(ج) الخوارج خاصة

نقم الخوارج على الامام علي لأنه قبل بالتحكيم في شأن الخلافة بينه وبين معاوية ثم

لم يرض بالحكم ولا اراد ان يحارب معاويه. ويظهر بجلاء ان الخوارج لم يكونوا اعداء للامام علي وحده بل كانوا اعداء لمعاوية ايضاً ، ولكن لما لم يقبل الامام علي ان يحارب معاوية لانه كان من الذين جر المسلمين الى القتال وهراق دماءهم وشتت آراءهم ، اصبح معاوية وعلي عندهم في مرتبة واحدة . ولما صمم الخوارج سنة ٤٠ للهجرة (اواخر ٦٦٠ م) على قتل النفر الذين كانوا سبب هذه الفتنة بين المسلمين حاولوا قتل معاوية وعمرو بن العاص وعلي .

لقد عرف الامام علي وجه الحق ، ومن اجدر منه بذلك ، ولذلك تراه يعتذر لنفسه في نهج البلاغة بقوله (ص ٨٥ – ٨٦) :

« اما بعدُ فان مَعْصِيَةَ الناصحِ الشفيقِ العالمِ المُجرِّبِ ، تُورِثُ الحَيْرَةَ وتُعقِبُ النَّدامةَ . وقد كُنتُ أمَرْتُكُمْ في هذه الحكومةِ أمري ونَخَلْتُ لكم مَخزونَ رأيي ، فأبيْتُمْ عليَّ إباءَ المُخالفينَ الجُفاةِ والمُنابذينَ العُصاةِ ، حتى ارتابَ الناصحُ بنُصْحِهِ وضَنَّ الزَّنْدُ بقَدْحِه .

ثم ان الخوارج دفعوا رأيهم السياسي الى ابعد من هذا الحد وطلبوا من الامام علي ان يعتزل الخلافة . وقد كان الخوارج قد اتخذوا شعاراً لهم: «لا حكم الا لله» يقصدون ان الامام علياً ومعاوية قد حكما رجلين في الخلاف بينهما، هما ابو موسى الاشعري وعمرو بن العاص ، بينما الحكم يجب ان يكون لله وحده . ورأى الخوارج ان التحكيم فاسد لأن الخلافة – في رأيهم – ليست من حق علي ولا من حق معاوية ، فاذا نشب بينهما خلاف ، فيجب عليهما كليهما ان يعتزلا هذا المنصب . حتى ان المنصب نفسه لا ضرورة له ، اذ الحاجة اليه انما هي حاجة الى من يقيم للمسلمين امور دنياهم ، فاذا استقامت تلك الامور لم يبق للمسلمين من حاجة الى خليفة .

ولما رد الامام علي على الخوارج فند رأيهم تفنيداً صحيحاً ولكنه لم يتعرض الا للناحية الدنيوية من الموضوع . اجل ، ان الحكم لله ، ولكن لا بد من رجل يقوم في الناس لينفذ حكم الله وليحمل الناس على الاستقامة في امورهم (راجع الخطبة الرابعة من المختارات في هذه الدراسة).

(د) المرأة

نهج البلاغة شديد الحملة على المرأة، وسبب ذلك واضح: ان عائشة ام المؤمنين وزوج رسول الله قد خلقت له مشاكل كثاراً. وترجع عداوة عائشة وعلي الى ايام الرسول — في حديث الافك كما يزعمون، فليرجع الى ذلك في موضعه —

وكذلك اعتقد علي ان عائشة صرفته عن حقه في الخلافة. لما مرض الرسول مرض الموت حملت عائشة امر الرسول الى ابيها ابي بكر ان يصلي بالناس مكان الرسول. ومع ان هذا لا يدل على ان الرسول اوصى بالخلافة لابي بكر ابداً، اذ ان استخلاف ابي بكر كان عملياً سياسياً قام به عمر بن الخطاب، فان الهاشميين قالوا يومذاك، فيما يروى: ان الامر بالصلاة بالناس كان للامام علي فصرفته عائشة من عندها الى ابيها ابي بكر.

ولم تبرز عائشة في ايام ابي بكر وعمر على مسرح السياسة. ولكن لما تولى عثمان — وكان ليناً مستنيماً الى قومه بني امية — رجت ان تولى مكانه اخاها محمد ابن ابي بكر، ولذلك يروى انها كانت تقول: اقتلوا نعثلا [1] فقد كفر. ثم قتل عثمان وكان من الذين اشتركوا في الفتنة محمد ابن ابي بكر اخو عائشة.

ولما انتخب علي خليفة وقفت عائشة في صف الذين كانوا يطالبون علياً بدم عثمان مرة وبالاقتصاص من الذين قتلوا عثمان مرة ثانية. ولا ريب في ان عائشة هي التي اثارت على الامام علي حرب الجمل وافسدت بذلك خلافته السياسية افساداً كاملا.

من اجل ذلك كله لا اظنك تعجب اذا عرفت من نهج البلاغة ان الامام علياً كان ناقماً على المرأة.

اراد الامام علي ان يرى «نقص قدر المرأة» بما ذكره القرآن الكريم في في مواضيع متفرقة:

في سورة النساء (٤ : ٣٤): «الرجالُ قوّامون على النساء بما فضَّل اللهُ به بعضَهم على بعض. فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب

---

١ — صيغة تحقير لعثمان.

بما حَفِظَ الله . واللاتي تخافون نُشوزَهن فعِظوهن واهجُروهن في المضاجعِ واضرِبوهن ، فان أطعنكُمْ فلا تبغوا عليهن سبيلا ... »

وفي سورة النساء ايضاً عند الكلام على الارث (٤: ١٠ و ١٧٥): يُوصيكمُ الله في اولادِكم للذكرِ مثلُ حظِّ الانثيينِ ... »

وفي سورة البقرة عند الكلام على الشهادة (٢ : ٢٨٢) « واستشهدوا شهيدينِ من رجالكم ، فان لم يكونوا رجلينِ فرجلٌ وامرأتانِ ممن ترضونَ من الشُّهداء ، أنْ تَضِلَّ إحداهُما فتذكر إحداهما الاخرى ... »

وكذلك في صورة البقرة (٢ : ٢٢٢) عند الكلام عن المحيض .

هذه الاسباب كلها جعلت الامام علياً يحمل على النساء كلهن حملة شديدة ويتهمهن جميعهن ومن يتبعهن معهن . وقد خطب بعد معركة الجمل فوصف النساء بانهن نواقص الايمان ، نواقص الحظوظ ، نواقص الحقوق (راجع الخطبة التاسعة) .

ومن اقوال الامام المأثورة : المرأة شر ، وشر منها انها لا بد منها .

ومع انه يرى ان ذلك عامّ في النساء فانه يرى ايضاً ان نقمة عائشة كانت عليه خاصة وانها لم تكن لتعامل رجلا غيره بما عاملته به (ص ٣١٠) :

« واما فلانةُ (يعني عائشةَ) فأدركها رأيُ النساء وضِغْنٌ غلا في صدرها كمِرْجَلِ القَينِ (١) . ولو دُعيَتْ لِتنالَ من غيري ما أتَتْ إليَّ لم تَفعلْ ... »

على انه يرى ايضاً ان عائشة قاتلته لان قوما حملوها على ذلك (ص ٣٥٣) :

« فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تُجرّ الامة عند شرائها

١ ـ مرجل القين : كير الحداد .

متوجهين بها الى البصرة »

ولكن لما رأى التفاف اهل البصرة حول عائشة رضى الله عنها ذمهم لانهم كانوا هم تابعين لها، فقال (ص ٤٥ – ٤٦) :

كُنْتُمْ جُنْدُ المرأةِ وأتباعَ البَهيمةِ (١) ، رَغا (٢) فأَجَبْتُمْ وعُقِرَ (٣) فهربتم . أخلاقكم دِقاقٌ وعَهْدُكم شِقاق ودينكم نِفاق ، وماؤكم زُعاقٌ (٤) ... أنتنُ بلاد اللهِ تُرْبَةً : أقربُها من الماء وأبعدُها من السماء، وبها تسعةُ أعشار الشر .

نرى بما تقدم ان الامام علياً قد ظلم المرأة وحمل عليها حملة شديدة ، ولكننا في الوقت نفسه نرى سبب ذلك واضحاً بيناً . ولكن العجيب انه لم ير فيها خيراً البتة، ولا ذكرها بحسنة ولا أشار اليها بمعروف . وعلى هذا نحمل آراء نهج البلاغة في المرأة على انها « رأي سياسي شخصي » للامام علي لا « رأي اجتماعي عام » تبنى عليه الاحكام التي تعرف بها المنزلة الحقيقية للمرأة في المجتمع وفي تاريخ الفكر الانساني .

(ه) الاخلاق

و « الاخلاق » في نهج البلاغة قسم من الفلسفة الاجتماعية لانها مبنية على ما عده الدين حسناً حتى ولو كان غريباً في نظر الناس (ص ٢٤٠) :

« إنه ليس بشيء شرٌ من الشر إلا عِقابُه ، وليس بشيء خيرٌ من الخيرِ إلا ثوابُه، وكلُّ شيء من الدنيا سَماعُه أعظمُ من عِيانِه ، وكلُّ شيء من الآخرةِ عِيانُه أعظمُ من سَماعه ... واعلموا ان ما نَقَصَ من الدُّنيا وزادَ في الآخرة خيرٌ مما نَقَصَ من الآخرةِ وزادَ في الدنيا ...

(١) البهيمة هنا الجمل ، وذلك ان عائشة كانت تركب في تلك المعركة جملا ، ولذلك عرفت تلك الحرب بمعركة الجمل (٢) صوّت (٣) قُتل (٤) مالح .

وأنَّ الذي أُمِرْتُمْ بِهِ أوسعُ من الذي نُهِيتُمْ عنه ، وما أُحِلَّ لكم أكثرُ مما حُرِّمَ عليكم ... »

وهكذا نجد ان الدين والاخلاق في نهج البلاغة شيء واحد ، وان كان نهج البلاغة احياناً ينسب « ظلمة الاخلاق » في الانسان الى نشأته الطبيعية من التراب . واما اختلاف الناس في اخلاقهم فراجع الى اختلاف بيئتهم الطبيعية ايضاً (ص ٥٠٤) :

« انما فَرَّقَ بينهم مبادىء طِينِهم ، وذلك أَنَّهُمْ كانوا فِلْقَةً من سَبَخِ أرْضٍ وعَذْبِها ، وحَزْنِ تُرْبَةٍ وسَهْلِها . فهم على حَسَبِ أرضهم يتقاربون ، وعلى قَدْرِ اختلافِها يتفاوتون ... »

ولقد تلون نظر الامام علي الى الاخلاق باختباره في السياسة والحرب . ولذلك نرى القول بفساد الناس اغلب عليه (ص ٩٢) :

« إنَّ الوفاءَ تَوأمُ الصِدقِ ، ولا أَعلَمُ جُنَّةً أوقى مِنهُ . ولا يَغدِرُ من عَلِمَ كيفَ المَرجِعِ . ولقد أصبحنا في زمانٍ قدِ اتَّخذَ أكثرُ أهلهِ الغَدرَ كَيْساً (١) ونَسَبَهُم أهلُ الجهلِ فيه إلى حُسْنِ الحِيلةِ . قاتَلَهُمُ اللهُ ، قد يَرى الحُوَّلُ القُلَّبُ (٢) وَجهَ الحيلةِ ودُونَهُ مانِعٌ من أمرِ اللهِ وَنَهيِهِ فيدَعُها رَأيَ العينِ بعدَ القُدرةِ عليها ، ويَنتَهِزُ فُرصَتَها من لا حَريجةَ (٣) له من الدِّينِ » .

ولقد بنى الامام علي كل آرائه في الاخلاق على رأيه بان « الدنيا دار ممر والآخرة دار مقرّ » ، فاعتبر كل ما أدى الى الفوز في الآخرة خليقاً بالانسان عمله ،

---

(١) عقلا (٢) المقتدر المختبر للامور (٣) التوقي ، يعني بذلك من لا يهم ان اذنب او لم يذنب .

وكل ما قاد الى نفع في الدنيا لا قيمة له . ذلك هو نظر الدين في الاخلاق .

(و) العامـة

نظر الامام علي الى الناس – كما فعل غيره ايضاً – على انهم طبقات. ولذلك قال قولاً هو في اعـلى طبقات الحكمة الاجتماعية ، قال : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم ، اتحبون ان يكذب الله ورسوله ؟ » ويبدو ان الامام علياً اعتبر معظم الناس في العام ولذلك لم يصرح بعلمه لاحد .



المختار من خطبه

١ – الجهاد : اغار سفيان بن عوف الازدي الغامدي على مدينة الانبار زمان علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ، وعلى الانبار يومذاك اشرس بن حسان* البكري . وقد استطاع سفيان ان يقتل اشرس وان يرد خيل علي بن ابي طالب عن المسلحة (المكان الذي يرابط فيه الجند عند مركز حربي) . حينئذ خطب علي خطبته التالية :

امّا بعدُ ، فان الجهادَ بابٌ من ابواب الجنة فتحه اللهُ لخاصّة اوليائه. وهو لباس التقوى ودرعُ الله الحصينة وجُنّته الوثيقة . فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذل وشَمِله البلاء (١) ، ودُيّثَ بالصَّغار والقَماء (٢)، وضُرِبَ على قلبه بالأسداد (٣) ، وأُديلَ الحقُّ منه بتضييع الجهاد، وسِيمَ الخَسْفَ ومُنِعَ النَّصَفَ (٤).

إلا وإني قد دعوتُكم الى قتال هؤلاء القوم (٥) ليلاً ونهاراً، وسراً واعلاناً ، وقلت لكم : « أُغزوهم قبل ان يغزوكم » . فوالله ما غُزِيَ قومٌ في عُقر دارهم إلا ذَلّوا . فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنَّت الغارات عليكم ومُلِكَت عليكمُ الاوطان . وهذا أخو غامد وقد وردَتْ خيلُه الانبارَ ، وقد قَتَلَ حسانَ بنَ حسان البَكريَّ ، وأزال خيلَكم عن

---

* في الخطبة : حسان بن حسان .

١ – الجنة (بضم الجيم) : الوقاية ، الستر . شمله البلاء : عمته المصائب . ٢ – ديث : ذلل . الصغار والقماء : الذل والتضاؤل . المقصود : الذلة والاحتقار . ٣ – الاسداد جمع سد . ضرب على قلبه بالاسداد : جعل بينه وبين الحق ستاراً . ٤ – اديل الحق منه : اخذ منه الحق . ظلم . النصف : الانصاف . الخسف : الذل . ٥ – اهل الشام

مَسالحها (١) . ولقد بَلَغَني أن الرجلَ منهم كان يَدْخلُ على المرأة المسلمة والاخرى المُعاهدة فينتزعُ حِجْلَها وقُلبها وقلائِدَها ورِعاثِها ما تَمْتَنعُ منهُ إلا بالاسترجاع والاسترحام (٢) . ثم انصرفوا وافرين (٣) ما نالَ رجلاً منهم كَلْمٌ (٤) ولا أُريقَ لهم دَمٌ . فلو ان امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به مَلوماً ، بل كان به عندي جديراً .

فيا عجباً ، واللهِ ، يُميت القلبَ ويَجْلبُ الهمَّ اجتماعُ هؤلاء القوم (٥) على باطلهم وتفرقكم عن حقكم . فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يُرمى (٦) : يُغارُ عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزَونَ ولا تغزُونَ ، ويُعصى اللهُ وترضَونَ . فإذا أمرتكم بالسير اليهم في الصيف قلتم هذه حمارّةُ القيظ أمهلنا حتى يَنسَلِخَ عنا الحر (٧) . وإذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارّةُ (٨) القُرِّ ، أمهلنا حتى يَنسَلِخَ عنا البردُ . كل هذه فِراراً من الحَر والقَرّ (٩) . فأنتم واللهِ من السَّيفِ أفرّ .

يا اشباهَ الرجالِ ولا رجالَ . حلومُ الأطفال ، وعقولُ ربّاتِ

---

١ — اخو غامد : سفيان بن عوف ارسله معاوية لشن الغارات على اطراف العراق .

٢ — المسلحة : المكان الحصين الذي يوضع فيه الجند للدفاع . ٣ — الحجل : الخلخال (يكون في الرجل) . القلب : السوار (يكون في اليد) . القلادة : العقد في العنق . الرعاث : الاقراط (تكون في الاذن) . الاسترجاع : قولهم : إنا لله وإنا اليه راجعون . الاسترحام : طلب الرحمة قولهم : رحمه الله — اي كانوا يتأسفون بافواههم ولا يدافعون بانفسهم . ٤ — وافرين : سالمين . ٥ — كلم : جرح . ٦ — اهل الشام : اتباع معاوية . ٧ — الترح : الحزن . الغرض : الهدف ، اي تصيبكم المصائب . ٨ — حمارة القيظ : اشده . يسلخ : يخف . ٩ — القر : البرد . الاصل في القر ان تكون مضمومة ولكنها فتحت هنا اتباعا للفظة الحر .

الحِجال (١) . لَوَدِدتُ أني لم أرَكم ولم أعرِفكم . معرفةٌ ، واللهِ ، جَرَت ندما ، وأعقبت سَدَما (٢) . قاتلكم اللهُ ، لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً ، وجرّعتموني نُغَبَ التهمام أنفاسا (٣) . وأفسدتم عليَّ رأيي بالعِصيان والخذلان ، حتى قالت قُرَيشُ : إنَّ ابن ابي طالبٍ رجلٌ شُجاع ، ولكن لا علمَ له بالحرب . للهِ أبوهم ! وهل احدٌ منهم اشدُّ لها مِراساً (٤) ، وأقدم فيها مقاماً مني ؟ لقد نَهضتُ فيها وما بلغتُ العشرين وها أنا قد ذرّفت على الستين (٥) ، ولكن لا رأيَ لمن لا يُطاع .

٢ — جوابه لعمر بن الخطاب : كان عمر بن الخطاب قد عزم على ان يذهب على رأس جيش الفتح الى فارس بنفسه ، فاستشار علياً في ذلك ، فقال علي :

إن هذا الامرَ لم يكن نصرُه ولا خِذلانه بكثرة ولا قِلّة . وهوَ دينُ الله الذي أظهره ، وجُنده الذي أعده وأمدّه [٦] حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع . ونحن على موعدٍ من الله ، واللهُ مُنجز وعده ، وناصرٌ جُندَه . وإن مكان القَيِّم بالامر مكانُ النِظام من الخرز يجمعُهُ ويضمُّهُ [٧] . فاذا انقطع النظام تفرّق الخرز وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً [٨] .

---

١ — حلوم : عقول . ربات الحجال : النساء .

٢ — السدم : الاسف . ٣ — سقيتموني الهم شيئاً بعد شيء .

٤ — المراس : المعاناة ، والتمرن . ٥ — زادت سني على الستين .

٦ — اعانه : نصره . ٧ — ضمه : جمعه وحفظه . ٨ — اذا انفرط عقد فانه يضيع من حباته شيء .

والعربُ اليومَ وان كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع.
فكُن قُطباً[١] واستدِرْ الرحى بالعرب وأصلِهِمْ دونك نار الحرب([٢]).
فإنك إن شَخَصْتَ من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها[٣] حتى يكونَ ما تدَعُ وراءك من العَوْرات أهمّ اليك مما بين يديك[٤].

ان الاعاجمَ إنْ يَنظروا اليك غداً يقولون : هذا أصلُ العرب ، فاذا قطعتموه استرحتم ! فيكون ذلك أشدَّ لِكَلَبِهِم عليك([٥]) وطمعهم فيك. فاما ما ذكرتَ من مَسيرِ القوم الى قِتال المسلمين فان الله سبحانه هُوَ اكرهُ لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما تكرهُ.
واما ما ذكرتَ من عددهم فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرةِ وانما كنا نقاتل بالنَّصر والمعونة ([٦]).

٣ — كان طلحة والزبير يطلبان الخلافة لنفسها ، وقد كانا من رجال الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب بعد ان طعنه ابو لؤلؤة. وكانا منذ ذلك الحين ينازعان عليا الخلافة . فلما انتخب بايعاه بالخلافة ثم انقلبا عليه .

والله، ما انكروا على مُنكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نَصَفاً ([٧]) .

---

١ — القطب : المحور الذي تدور عليه الرحى (الطاحون) ٢ — حارب بقومك العرب ، ولا تتعرض انت لها . ٣ — شخص : ذهب . انتقضت عليك : اختلفت بعدك وخرجت من طاعتك . ٤ — ان الضرر الذي سيكون في بلاد العرب بعدك لن يوازي بالنفع الذي ستلقاه اذا سرت بنفسك الى قتال الفرس . ٥ — تعطشهم الى قتلك . ٦ — لم نكن ننتصر بكثرة عددنا بل بعون الله لنا .
٧ — النصف : العدل والانصاف

وإنهم يطلبون حقاً هم تركوه ودماً هم سفكوه . فان كنتُ شريكهم فيه فان لهم نصيبهم منه. وان كانوا وَلُوه دوني فما الطِّلْبة إلا قِبَلهم[١] ! وإن أوَّلَ عدلهم للحُكْمُ على أنفسهم . وإن معي لبصيرتي ما لَبَست ولا لُبِسَ عليَّ[٢] . وإنها للفِئَةُ الباغية .

٤ - كان الخوارج يتنادون للاجتماع بقولهم : « لا حكم الا لله » . وكانوا يقصدون بهذا النداء ان يضعفوا مركز الامام علي إذ يعنون ان لا سلطة للامام علي عليهم لان السلطة الحقيقية هي لله . ففي يوم من الايام سمع الامام علي الخوارج يحكّمون (يقولون : لا حكم الا لله) فقال :

كلمةُ حق يُرادُ بها الباطل ! نعم ، انه لا حُكْمَ الا لله . ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة الا لله . وانه لا بُدَّ للناس من أميرٍ بَرّ أو فاجر ، يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ، ويُبَلِّغ الله فيها الأَجل ، ويُجمعُ به الفيء ، ويُقاتل به العدو ، وتأمنُ به السُبُل ، ويؤخذ به للضعيف من القويّ حتى يستريحَ بَرٌّ ويُستراح من فاجرٍ .

٥ - أنكر الخوارج على الامام علي انه اختار رجلاً (هو ابو موسى الاشعري) ليحكم بينه وبين معاوية ، مع ان الحكم في كل شيء هو الله . فرد الامام علي على الخوارج بما يلي :

إنّا لم نُحكّمِ[٣] الرجالَ وانما حكّمنا القرآنَ . وهذا القرآنُ إنما هو خطٌّ مستور بين الدَّفتين[٤] لا ينطِق بلسانٍ ، ولا بُدَّ له من تَرْجمان ،

(١) ولوه دوني : فعلوه وحدهم . الطلبة : المطالبة والطلب . قبلهم : عندهم
(٢) اذا ارادوا ان يعدلوا في القضية فعليهم ان يحكموا على انفسهم . لبّس: خادع، غش.
(٣) حكّم واحتكم اليه : جعله حكماً . (٤) الدفتان : جلدتا الكتاب .

وانما ينطِقُ عنه الرجالُ . ولما دعانا القومُ إلى أن نُحَكِّمَ بيننا القرآنَ لم نكنِ الفريقَ المُتَوَلِّيَ على كتاب الله تعالى ، وقد قال سُبحانه : « فان تنازعتُمْ في شيءٍ فردُّوه إلى الله وإلى الرسول » (١). فَرَدُّه الى الله أنْ نحكُمَ بكتابه ، وردُّه الى الرسول ان نأخذ بسُنَّته . فاذا حُكِمَ بالصِدقِ في كتابِ الله فنحن أحقُّ الناس به ، وان حُكِم بسُنَّة رسولِ الله صلى الله عليه وآله فنحن اولاهم به .

واما قولكم : لِمَ جعلتُ بينكم وبينهم أجلًا في التحكيم فإنما فعلتُ ذلك ليَتَبَيَّنَ الجاهلُ ويَتَثَبَّتَ العالم . ولعلَّ اللهَ أنْ يُصلِحَ في هذه الهُدْنَةِ أمرَ هذه الأمة ولا تؤخذ بأكظامها فتعجَلَ عن تبيُّنِ الحق وتنقادَ لأول الغي .

٦ ـ كان عدد كبير من اتباع الامام علي غير مخلصين له فقال يقرّعهم ويذمهم .

أحمَدُ الله على ما قضى من أمرٍ وقدَّر من فِعلٍ ، وعلى ابتلائي بكم ، أيَّتُها الفرقةُ التي اذا أمرتُ لم تُطِعْ ، واذا دعوتُ لم تُجِبْ : إن أُمهِلتم خُضتُم ، وان حُورِبتم خُرتم (٢) . وانِ اجتمع الناسُ على إمامٍ طَعَنتُم ، وان أُجِبتم الى مُشاقَّةٍ نَكَصتم (٣) . لا أبا لغيرِكم ، ما تنظرون بنصرِ ربِّكم والجهاد على حقكم (٤) ؟ الموتَ او الذلَّ لكم ! فوالله لئن جاء

(١) سورة النساء ، ٤ : ٨٩ . (٢) امهل : ترك الى أجل معين . خاض : الخوض (هنا) الكلام الكثير . خار : ضعف . (٣) طعن : اختلق العيوب . مشاقة : حرب ، نزاع . نكص : ارتد ، انهزم — اذا اتفق انكم اجبتم الذي يدعوكم فانكم بعد قليل تتغيرون . (٤) لا أبا لك : اي لا ابا لك يعاب . لا ابا لغيركم : آباؤكم انتم فيهم عيب . ما تنظرون بنصر ربكم الخ : ما تنتظرون حتى تنصروا ربكم (تعملوا بما امر وتقاتلوا في سبيله) .

يومي - ولَيأتِيني - لَيفرِقن بيني وبينكم وأنا لكم قالٍ وبكم غيرُ كثير [١]. لله انتم ، أما دينٌ يجمعُكم ولا حَمِيَّةٌ تَشحَذُكم [٢]. أوَليسَ عجباً ان معاوية يدعو الجُفاة الطَغام فيتبعونه على غير مَعونة ولا عطاء ، وأنا أدعوكم، وأنتم تريكةُ الاسلام وبقية الناس إلى المعونة وطائفة من العطاء، فتتفرقون عني وتختلفون عليَّ [٣] ؟ انه لا يخرج اليكم مِن أمري رضيً فترضَونَهُ ولا سُخطٌ فتجتمعون عليه . وإنَّ أحبَّ ما أنا لاقٍ اليَّ الموتُ. قد دارستكم الكتابَ وفاتحتكم الحِجاج وعرَّفتكم ما أنكرتم وسوَّغتكم ما مَجَجتم ، لو كان الاعمى يَلحَظُ او النائم يستيقظ [٤]. وأقرِبْ بقومٍ ، من الجهل بالله ، قائدُهم معاويةُ ومُؤدِّبُهم إبنُ النابغة [٥].

٧ - قال يذم اتباعه :

كم اداريكم كما تُدارى البِكارُ العَمِدة والثيابُ المتداعية [٦] : كلما حِيصَتْ [٧] من جانب تهتَّكَتْ من آخر . أكلما أطلَّ عليكم مِنسر من مناسر أهل الشام أغلَقَ كلُّ رجل منكم بابه وانجحر انجحارَ

(١) جاء يومه : مات . قالٍ : مبغض . وانا بكم غير كثير : لا اشعر انكم تزيدون في قيمتي او قوتي . (٢) الحمية : الرغبة بالنصرة ، الخوف على العرض والمبدأ . تشحذكم هنا معناها : تدفعكم . (٣) الجاف : الجلف ، القاسي . الطغام : اللئام ، الاراذل . التريكة : البقية . (٤) الكتاب : القرآن الكريم . الحجاج : الجدال . سوغتكم ما مججتم : جعلتكم تحبون ما كنتم له كارهين ... لكنكم عمي لا تبصرون ونيام لا تستيقظون . (٥) لا يستغرب ان يكون الذين يقودهم معاوية ويؤدبهم عمرو بن العاص اجهل الناس . (٦) البكار جمع بكر (بكسر الباء) الجمل الصغير . العمد : الجمل الذي انشق باطن سنامها وظاهره سليم صحيح . المتداعية : المهترئة ، التي اذا مسها انسان انفصلت قطع منها . (٧) حاص : خاط .

الضَّبَّة في جُحرها والضَّبع في وجارِها[1].

الذليل والله من نصرتموه . ومن رُمِيَ بكم فقد رمي بأفوقَ ناصلٍ[2] . وإنكم والله لكثيرٌ في الباحات قليل تحت الرايات، واني لعالمٌ بما يُصلحكم ويُقيم أوَدَكم[3] . ولكني لا ارى إصلاحكم بإفساد نفسي . أضرَعَ اللهُ خُدودَكم وأتعس جُدودكم[4]، لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطلَ ، ولا تُبطلون الباطل كإبطالِكم الحق .

٨ ـ سمع قوماً من اصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين ، فخطب فيهم وقال :

إني أكرهُ لكم أن تكونوا سبَّابين . ولكنكم لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوبَ في القول وأبلغَ في العُذر[5]، ثم قلتم مكان سبِّكم إياهم : اللهم أحقُن دماءنا ودماءهم[6]، وأصلحْ ذاتَ بيننا وبينهم[7]، وأهدهم من ضلالتهم حتى يعرفَ الحق مَن جَهِلَهُ ويرعوي عن الغي والعُدوان من لهجَ به[8].

٩ ـ من خطبة له عليه السلام ، بعد حرب الجمل ، في ذم النساء :

مَعاشرَ الناسِ، إنَّ النساء نواقص الايمان نواقص الحظوظ نواقص العقول .

---

(١) النفر: عدد قليل من الجند . الجحر والوجار: مسكن الحيوان في حفرة في الجدار او في الارض. الضب: حيوان من نوع العظاية، الزواحف الصغيرة. انجحر: دخل الجحر. (٢) الافوق: السهم الذي كسر فوقه : مكان وضعه في القوس . الناصل : الذي ذهب ريشه . — ومثل هذا السهم لا يصيب الهدف . (٣) اعوجاجكم . (٤) ضرع : اذل . اتعس جدودكم : اشقى حظوظكم — جعلكم الله اذلاء اشقياء . (٥) لو وصفتم اعمالهم فقط لبان تقصيرهم وعارهم، ولعذركم الناس . (٦) حقن الدم : حبسه ، انقذ صاحبه من القتل . (٧) أصلح ما بيننا وبينهم . (٨) ارعوى : رجع . الغي : الضلال . لهج بالشيء : أولع به ، اكثر الكلام فيه .

فأما نُقصان إيمانهن فقعودُهن عن الصلاة والصيام في ايام حَيضِهن. واما نُقصانُ عقولِهِنَّ فشهادة امرأتين كشهادة الرجلِ الواحد. واما نقصانُ حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال.

فاتقوا شِرارَ النساء، وكونوا من خِيارهن على حذر، ولا تُطيعوهن في المعروف حتى لا يَطمَعْنَ في المُنكر.

١٠ – وخطب الامام علي خطبة في تزهيد الناس في الدنيا وخوّفهم امر الآخر فقال :

أيها الناسُ إنما الدنيا دارُ مجازٍ والآخرةُ دار قَرار [١]، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، ولا تَهتكوا أستاركم عند من يَعلَمُ أسرارَكم [٢]. وأخرجوا من الدنيا قلوبَكم من قبل أن تَخرُجَ منها أبدانُكم، ففيها أُختُبِرتم ولغيرها خُلقتم [٣]. إن المرء اذا هَلَكَ قال الناسُ: ما تَرَكَ؟ وقالت الملائكةُ: ما قَدَّم [٤]؟ لله آباؤكم! فقدّموا بَعضاً يكنْ لكم، ولا تُخلِفوا كُلًّا فيكونَ عليكم [٥].

١١ – من خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم. وفي هذه الخطبة آراء كثيرة تشبه ما قال به الايونيون (الفلاسفة الطبيعيون القدماء) :

الحمد لله الذي لا يبلغُ مِدحَتَهُ القائلون، ولا يُحصي نَعماءَه العادُّون.

---

(١) مجاز : ممر . قرار : سكن ، دوام . (٢) هتك الستر : مزقه ، كشفه عن المعائب .
(٣) خلقتم لغيرها – للآخرة . (٤) الناس يقولون : ماذا ترك الميت بعده من مال، الملائكة يقولون : ماذا عمل الميت قبل موته من الاعمال الصالحة . (٥) ان العمل الصالح القليل ينفعكم في الآخرة ، والمال الكثير الذي تتركونه بعدكم حجة عليكم — لانكم لم تنفقوه في سبيل الله .

ولا يُؤدّي حقَّه المجتهدون . الذي لا يُدرِكُهُ بُعدُ الهِمَم ، ولا يناله غوصُ الفِطَنَ . الذي ليس لِصِفَتِهِ حدٌّ محدود ، ولا نَعتٌ موجود ، ولا وقتٌ معدود ، ولا أجل ممدود . فَطَرَ الخلائق بقُدرته ، ونشر الرياحَ برحمته ، وَوَتَّدَ بالصخورِ مَيدان ارضه .

أولُ الدينِ مَعرِفَتُهُ ، وكمالُ معرفتِهِ التصديقُ به ، وكمال التصديق به تَوحيده ، وكمالُ توحيده الإخلاصُ له . وكمالُ الاخلاصِ له نفيُ الصفات عنه ، لشهادةِ كلِّ صفةٍ أنها غيرُ الموصوف ، وشهادةِ كلِ موصوفٍ أنه غير الصفة . فمن وصف الله سبحانه وتعالى فقد قَرَنَهُ[1] . ومن قرنه فقد ثنّاه[2] . ومن ثناه فقد جَزّأه . ومن جزأه فقد جهله . ومن جهله فقد أشار اليه . ومن اشار اليه فقد حَدّه[3] . ومن حده فقد عده . ومن قال فيمَ ؟ فقد ضمنه[4] . ومن قال علامَ ؟ فقد اخلى منه[5] . كائن لا عن حدث . موجود لا عن عدم . معَ كل شيء لا بمقارنة ، وغيرُ كل شيء لا بمزايلة . فاعل لا بمعنى الحركات والآلة . بصير اذ لا منظورَ اليه من خلقه . متوحد اذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده .

أنشأ الخلق انشاء ، وأبتدأه أبتداء بلا رَوِيَّةٍ أجالها ، ولا تجربةٍ

(١) جعل له قريناً اي مثيلا ونظيراً وشبهاً . (٢) ثناه : جعله اثنين ، او (جعل) كائنين يتصفان بصفة واحدة . (٣) حده : جعل له حدوداً ، اي في نطاق معين . (٤) من سأل عن الله اين هو ؟ فقد افترض ان الله موجود في المكان الذي سأل عنه فقط . (٥) من قال ان الله على العرش مثلا فقد افترض انه ليس غيره من الاماكن.

أستفادَها ، ولا حركةٍ أحدثها ، ولا هَمَامة نَفْسٍ اضطرب فيها . أحال الاشياء لاوقاتِها ، ولاءمَ ما بين مختلفاتِها ، وغرّز غرائزها ، وألزمها أشباحها [١] ـ عالماً بها قبل ابتدائها ، محيطاً بحدودها وانتهائها ، عارفاً بقرائنها واحنائها .

ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء ، وسكائك الهواء [٢]. فأجرى فيها ماء متلاطماً تيارُه ، متراكماً زّخاره [٣] ، حمله على متن الريح العاصفة ، والزعزع القاصفة ، فأمرها برده ، وسلّطها على شَدِّهِ ، وقرنها الى حده ـ الهواء من تحتها فتيق ، والماء من فوقها دفيق . ثم انشأ سبحانه ريحاً اعقم مهبها وأدام مربها [٤] ، وأعصف مجراها ، وأبعد منشاها . فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء [٥] وعصفت به عصفها بالفضاء ـ تَرُدُّ أوّله إلى آخره ،

---

(١) يرى نهج البلاغة ان طبائع البشر مفروزة فيهم منذ الولادة لا مكتسبة . ألزمها اشباحها : خلقها على الصورة التي هي عليها اليوم ثم جعل هذه الاشباح دائمة لها (هذا القول يعني انكار تطور الاحياء من حال الى حال) . (٢) القرائن والاحناء : (هنا) ما يتشابه وما يختلف . انشأ فتق الاجواء : خلق الجو ، الفضاء ، اي خلق المكان . السكاكة (بالضم) : الهواء الملاقى عنان السماء ، اي طبقات الجو العليا او الاثير الذي تشكلت منه الاجرام السماوية في رأي بعض الفلاسفة . (٣) التيار : الماء الجاري بشدة . الزخار : الماء الكثير المتحرك في موضعه .

(٤) الزعزع القاصفة : الريح الشديدة التي تحدث صوتا هائلا (ضمير التأنيث يعود على الريح وضمير التذكير يعود على الماء) . فأمرها برده : امر الريح برد الماء ، اي بدفعه الى الوراء . فتيق : واسع . دفيق : كثير . الريح العقيم : الريح الشديدة الحارة والتي لا مطر فيها (لا رطوبة فيها فلا يكون منها غيم ممطر) . وادام مربها : جعلها تدوم في مكانها الذي تهب منه . ثم اشتد عصفها واتسع . (٥) حينئذ امرها بتصفيق (تحريك) الماء . فمخضته مخض السقاء : هزته كما يهز الوعاء (الذي يوضع فيه اللبن الحليب حتى يتجمد منه السمن).

وساجِيَه الى مائره حتى عَبّ عُبابُهُ ورمى بالزبد رُكامه (١). فرفعه في هواء مُنفَتِقٍ، وجو منفهق (٢)، فسوّى منه سبع سمٰوات. جعلَ سُفلاهن موجاً مكفوفاً وعُلياهن سقفاً محفوظاً وسَمْكاً مرفوعاً، بغير عَمَدٍ يَدْعَمُها، ولا دِسارٍ يَنظِمها (٣). ثم زيّنها بزينة الكواكب وضياء الثواقب، واجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً – في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر (٤). ثم فتق ما بين السمٰوات العلى فملأهن اطواراً من ملائكته: منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا يتزايلون (٥) ومُسَبِّحون لا يَسأمون. لا يغشاهم نوم العين ولا سهو العقول ولا فترة (٦) الابدان ولا غفلة النسيان. ومنهم أمناء على وحيه، وألسِنَةٌ الى رُسله (٧)، ومختلفون بقضائه وامره.

---

(١) الساجي: الهادىء. المائر: الهائج. عب عبابه: عظم موجه. الركام: المتراكم، بعضه فوق بعض. رمى بالزبد: اخذ يتطاير منه رغاء (رغوة: الماء الممزوج بالهواء، ويكون لونه ابيض) لشدة حركته. (٢) هواء منفتق وجو منفهق: مكان واسع. (٣) السمك (بسكون الميم) السقف. العمد جمع عمود. يدعمها يسندها. الدسار: المسمار. ينظمها: يجمعها ويثبتها (اي انهذه العوالم ثابتة في مكانها من غير وسائل مادية ظاهرة يربط بعضها ببعض). (٤) الثاقب: النجم الشديد الاضاءة. سراج مستطير: قنديل ينتشر نوره الى مكان بعيد (يقصد الشمس). الفلك الدائر والسقف السائر، كان الايونيون (قدماء فلاسفة اليونان) يعتقدون ان السماء قبة والنجوم مثبتة فيها. وهذه النجوم تدور لان القبة نفسها تدور. الرقيم المائر: اللوح المتحرك (كان تاليس اليوناني يقول ان الارض لوح سابح على الماء ومن ارتجاجه تحدث الزلازل. (٥) اطوار: انواع. صافون: قائمون صفوفاً. لا يتزايلون: لا يغادرون امكنتهم. (٦) الفترة: هدوء ضعف (٧) ألسنة الى رسله: ملائكة ينزلون بالوحي على رسله.

ومنهم الحَفَظة لعباده والسَّدَنة لابواب جِنانه (١) . ومنهم الثابتة في الارضينَ السفلى اقدامُهم ، والمارقة من السماء العليا اعناقُهم ، والخارجة من الاقطار اركانهم ، والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ـ ناكسة دونه ابصارهم ، متلفعون تحته باجنحتهم (٢) ، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة . لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين . ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر (٣) .

(١) مختلفون : يذهبون ويعودون، يترددون بين امكنة مختلفة. الحفظة جمع حافظ : رقيب، اي الملائكة الموكلون بالبشر يعدون حسناتهم وسيئاتهم . السدنة جمع سادن : حافظ ، حاجب ، اي واقف على الباب يراقب الداخلين والخارجين . (٢) مرق : نفذ ، اي انهم طوال حتى ان رقابهم تصل الى عنان السماء ثم تنفذ منها ايضاً . الاركان : الجوانب . خارجة من الاقطار اركانهم: هؤلاء الملائكة عظام الاجسام حتى ان جسم احدهم يزيد على اتساع الارض التي نعيش نحن عليها . المناسبة لقوائم العرش اكتافهم : اي ان قوائم عرش الله على مستوى اكتافهم « يحملون عرش الله » . ناكسة دونه ابصارهم : لا يتطلعون الى الله بابصارهم . متلفعون تحته باجنحتهم : يتغطون تحت العرش باجنحتهم . مضروبة (منصوبة) بينهم وبين من دونهم (موقعهم : الله) — اي ان هيبة الله تمنعهم من محاولة النظر اليه . (٣) لا يجرون عليه صفات المصنوعين: لا يصفونه بصفات خلقه (بصفات البشر) . لا يشيرون اليه بالنظائر : لا يشبهونه باحد من خلقه .

الفهرست

نخبة من دراسات وكتب

للدكتور عمر فروخ

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

دراسات قصيرة		الثمن بالقرش اللبناني
١ – الحجاج بن يوسف	(الطبعة الثانية)	٤٠
٢ – عمر ابن ابي ربيعة	(الطبعة الثانية)	٧٥
٣ – عبد الله بن المقفع	(الطبعة الثانية)	٤٠
٤ – الرسائل والمقامات	(الطبعة الثانية)	١٠٠
٥ – ابن الرومي	(الطبعة الثانية)	٥٠
٦ – احمد شوقي	(الطبعة الثانية)	٦٠
٧ – ابن خلدون	(الطبعة الثانية)	٥٠
٨ – اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية	(الطبعة الثانية)	٧٥
٩ – شعراء البلاط الاموي	(الطبعة الثانية)	١٢٥
١٠– الفارابيان: الفارابي وابن سينا	(الطبعة الثانية)	١٠٠
١١ – اربعة ادباء معاصرون	(الطبعة الثانية)	١٠٠
١٢– خمسة شعراء جاهليون	(الطبعة الثانية)	١٥٠
١٣– بشار بن برد	(الطبعة الثانية)	١٢٥
١٤– نهج البلاغة	(الطبعة الثانية)	٥٠

١٥ - اخوان الصفا	(الطبعة الثانية)	
١٦ - ابن باجه	(الطبعة الثانية)	١٠٠
١٧ - ابن طفيل		١٢٥
٨١ - التصوف في الاسلام		٢٠٠
١٩ - الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب		١٥٠
٢٠ - موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية		١٠٠

دراسات اخر

ابو نواس : دراسة ونقد	(الطبعة الثالثة)	١٥٠
ابو نواس : مختارات		٥٠
أبو تمام		١٠٠
حكيم المعرة	(الطبعة الثانية)	٢٠٠
عبقرية العرب في العلم والفلسفة	(الطبعة الثانية)	٣٠٠
الاسلام على مفترق الطرق	(الطبعة الثالثة)	١٥٠
نحو التعاون العربي		١٠٠
دفاعاً عن العلم		(نفد)
دفاعاً عن الوطن		٥٠
الاسرة في الشرع الاسلامي		٤٠٠

600 — Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis Zum Tode Umars, I - 23 d. H. (622-644 n. Ch. Leipzig 1937.

» الاسئلة الثلاثة (مشهد شعري تمثيلي للمدارس الابتدائية) ٢٥

» الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط ١٠٠

سفينة الحيوانات (مغناة تمثيلية للاطفال) نفدت

•

يمكن الحصول على هذه الدراسات من :

السيد محمد الخوجة

١٥ نهج باب المنارة – تونس





بيروت — شارع المعرض — تلفون : ٩٠-١٦